

مقدمة

عن النسوان

لا يحمل المعنى المضمر هنا أى إيحاء حسى، فالنسوان، هو معنى لهوية جنسية Sender وهو تعبير يعنى فى العلوم الاجتماعية، فهمًا، ثقافيًا، أكثر منه بيولوجيًا.

فالفهم السليم للمرأة يظل المدخل الصحيح للاقترب منها، والغريب هنا أن كلمة (النسوان) عندنا أصبحت ترادف الكثير من المعانى البالية عن المرأة سواء بخصوص عقلها أم صورتها أم فى تفكير الرجل.

بل لا نبالغ إذا قلنا: إن المرأة نفسها فى كثير من الأحيان تبذل جهدًا مُضَاعَفًا لترسيخ المفهوم الشائع عنها لدى الرجل مهما تكن درجة ثقافته، وهى التابع أو التابعة له، المُرْفَهة عنه، المخلوقة من أجل البيت والأولاد. بيته وأولاده...

وإذن، فمحاولة الاقتراب من المرأة جعلتنا نُؤثر عنوان «النسوان»، بعيدا عن التصورات القابضة فى اللاشعور عند المرأة والرجل، فالمصطلح نفسه يشير إلى معنى لغوى صحيح بالعربية الفصحى، فهذا المصطلح نجده يعبر عن المرأة أحسن تعبير: فى كثير من المعاجم العربية - على سبيل المثال - : لسان العرب والمعجم الوسيط.. وغيرهما مما يؤكد على التصور الصحيح لتكوين اللغة ورموزها.

«النسوان» - إذن - لفظة عربية معنًى ومجازًا أكثر دقة فى التعبير عن سواها، وأقرب إلى التصور الصحيح لدور اللغة فى حياتنا. إنه التعبير العربى الذى يحوى دلالة مغايرة إذا تعلق الأمر بمثله فى الغرب سواءً فى الرمز أم التطور التاريخى، وهو ما يتأكد على مستوى المقارنة مع هذا الغرب فللشرق تطور وللغرب تطور مغاير تمامًا.

ولأن الغرب يظل دائمًا: الآخر، الذى لا يمكن تحقيق الذات إلا بالنظر إليه، والإيمان فى موقعه وموقفه منا، فإن التناظر بين دور المرأة فى الغرب ودورها فى الشرق يمنحنا اقتناعًا مهمًا، هو، أنه لا يهمننا من تجارب المرأة فى الغرب إلا ما يصلح لنا..

ولا يهمننا ما يسوقه الغرب من دلالات إلا ما نجده متمشياً مع قناعتنا..

إنه المعنى المغاير المشابه فى آن واحد بيننا وبين الآخر، الأكثر من هذا أن المعنى يتضح أكثر

إذا أضفنا ما نعرفه نحن عن المرأة، إنها تمثل - كما نسعى إليه ايديولوجيا - هذا الآخر الذى نحمل له معانى متغايرة إلى حد بعيد..

إنه المعنى المضمر والمعلن للمرأة فى العصر الحديث..

وبهذا المعنى فإنه لا يهمننا التطور الذى انتهى بالمرأة هناك إلى «حالة» من التراكم النسوى Feminism الذى يعتمد على الواقع الغربى أكثر منه على واقعنا العربى .

ولا يهمننا هذا المعنى الذى نحمله نحن أولاد الشرق لهذا المخلوق الذى جاء من ضلع آخر، لأنقول أعوج، وإنما نقول مرتبطا بالذات العربية و متمشيا معها ليس فى أصل التعبير فقط، وإنما فى التعبير الذى راح يحمل معانى كثيرة ليس فى الغرب وحده وإنما هنا فى الشرق أيضا .. تستطيع الحركات «النسوانية» فى الغرب أن تطالب بتوفير موانع الحمل وتسهيل الإجهاض مجاناً، كما تستطيع أن تتحدث عن إنهاء أشكال «التمييز ضد السحاقيات وحق المرأة فى أن تحدد ميلها الجنسى» - كما أشارت إلى ذلك لجنة التنسيق النسائى البريطانىة فى القرن الماضى - وتطالب بحرية المرأة فى اختيار أنوثتها بنفسها من التركيز على شكل المرأة وشبابها وعطورها وحرية الجيب وطبيعة الملابس الداخلىة كما تعكسه لنا وسائل الإعلام الأمريكية فى القرن الماضى وحتى اليوم..

غير إن المرأة عندنا لا ترتبط بذلك كله، وإن ظهرت فى بداية القرن الحادى والعشرين عندنا دعوات مقلدة، إنها هنا تختلف، لا فى جنسها فقط وإنما فى وضعها العام..

نقصد المرأة العربية التى عاشت آلام التخلف وأوجاع الاستعمار البريطانى فى القرون الماضية ثم الامبريالى (الأمريكى) فى الحقبة الأخيرة ..

إن المرأة العربية لا تتحدث كثيراً عن حق المرأة فى أن تجد ميلها الجنسى أو تحدده، فإن ذلك كله ترف لا تملك القدرة عليه اليوم، إن هذه المرأة مطالبة بتغيير بنية المجتمع حولها، فهذه البنية الأبوية للمجتمع وتقاليد البالية وتخلفه الهائل يظل أهم من المطالبة بالحقوق المترفة، إن القضايا العربية هنا، والتى يتساوى فى المعاناة منها الرجل والمرأة على السواء، مازالت تتأثر بحركة المجتمع، وهى حركة، مازالت - على رغم تعرفنا إلى الغرب منذ قرابة قرنين من الزمان - عاجزة عن اللحاق بالتطور الهائل فى هذه القرية التى نحيا عليها دون الإفادة من هذا التطور، وإنما مازالت تعاني من قضية الأمية وتدهور التعليم والنظرة الأحادية؛ والنظرة «الذكورية» المتدنية للرجل، لا النظرة الواعية الغائبة للمرأة فى صراعنا - كأمم عربية - مع الغرب الظالم

والمرأة فى الوقت نفسه أيضا ترفض أن تستخدم حالات الاعتصاب أداة ضدّها لحجب القضايا الأساسية فى فترة زمنية محددة، أو افتعال قضية وهمية عن علاقة الرجل السيئة بالمرأة (كعدو) لها، المرأة تسعى لرفض أن تصبح (شيئاً) أو تتحول إلى سلعة إغراء فى وسائل الإعلام..

إن للمرأة مطالب لا تخرج عن المشاكل التي يعانى منها الرجل تماماً مثل الرجل. في صورة القهر الاجتماعي لا القهر الجنسي وحده.

(لنذكر: أكثر من ٧٦ في المائة من النساء يعانين من ضعف المستوى الثقافي ويصل عند الذكور إلى أكثر من ٥٠ في المائة، وتعانى أكثر من ٧٦ في المائة من النساء من الأمية في حين لا تقل النسبة عن ٥٠ في المائة لدى الرجال، وبلادنا تعانى من المساكن؛ فيسكن في مساحة ٥٠ متراً مكعباً ما لا يقل عن ٧٥ في المائة من الأسر الريفية، ولا يعرف الكهرباء في القرية أكثر من ٣٠ في المائة، وعلى امتداد ستة آلاف جمعية تعاونية زراعية لا تعرف سوى ٥ نساء فقط في جميع مجالس إدارتها، بل لا يوجد نادٍ نسائي واحد في الريف المصرى اليوم، وقل مثل هذا عن الخدمات والتعليم.. إلخ).

هذا وغيره يمكن أن نرصده في نهايات ألفية وبداية ألفية أخرى، حيث يتصاعد بشكل أكثر لتحول الدراما المرثية إلى ميلودراما مفرجة في بدايات القرن الحادى والعشرين.

وهو ما يشير في الحالتين إلى ما يجب التنبه إليه لدى المرأة الآن: درجة الوعى وليس القضايا العامة، من الغرب، أو التي تغرقنا فيها من آن إلى آخر النظم البطريركية، وعديد من المجالات النسوية والجمعيات والقنوات الفضائية الرسمية أو الأهلية أو - حتى - النسوية التي لا تنظر إلى المرأة إلا كقستان وأدوات تجميل وأداة جنس ومانيكان وفتاة إعلانات.. إلى غير ذلك.. درجة الوعى، إذن، هى ما يجب أن يعاد معها النظر إلى المرأة إعادة النظر وليس «التسليح» أو «الأداة» التي تستخدم الآن كما كانت تستخدم قديماً.

* * *

وهذا يصل بنا إلى درجة أخرى من درجات الوعى..

إن هذا الوعى يظل شكلاً من أشكال التنوير الذى تعيش فيه بلادنا، مما يخرج المرأة من التصور الأيديولوجى (أن يقال إن المرأة تمثل مع العبيد والخدم فكراً مغايراً على المستوى التاريخى)، أو التصور البيولوجى (أن يقال إن المرأة أضعف بحكم التكوين)، أو تصور سيكوباتى (أن يقال إن الطبيعة النسوانية السلبية تكونت بفعل الرجل).. إلى آخر هذه الترهات التي مازال يرددها عندنا ليس الأميين فقط وإنما بعض المتعلمين والمتقنين وبعض المشايخ أيضاً.

معنى هذا كله أن موقف المرأة الإيجابى لا يقتصر بالضرورة على الجنسين (الرجل والمرأة)، لكنه لا يخرج عن سياقه الطبيعى حين تطالب بحقوق فردية، فهذه الحقوق تصبح مدخلاً للحقوق الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع..

فحين لا تصبح المرأة واعية لدرجة مشاركتها في تغيير المجتمع تتحول إلى أداة لا دور لها؛ وليست إلى أداة فعل بالطبع..

وحين لا تدرك المرأة بشاعة الواقع، وتعمل لتغييره، تصبح النتيجة على العكس، تتحول إلى البكاء على الأطلال، أو تتمسح بالشرائع أو تنكص إلى عصر الحریم بإزادتها للاسف الشديد وليس بإرادة المجتمع أيضا..

وقد يكون من المهم أن نكرر هنا - بداهة - أن الوعي الفردي لا يعنى بالضرورة التغيير الفردي (الشخصي)، وأنه لا يمكن تجاهله، فالتعبير الفردي الذى يتم فى إطار واع يصبح فعلاً جماعياً فى النهاية..

إنه الفردي الذى يسعى إلى المجتمع ويعمل فى إطاره وهذا يعنى أن الفردي سياسى وليس شخصياً بأية حال؛ الفردي هنا يظل «رؤية لتغيير العالم»..

بالفردي هنا يمكن لنا أن نرى دعوة هدى شعراوى - على سبيل المثال - فى إطارها الصحيح حين تدعو إلى إنشاء نادٍ رياضى للنساء عام ١٩٠٦.

وبالفردي هنا يمكن أن نرى دلالة أن يرشح مجلس الشعب فى عام من الأعوام أربع نساء، فلا يبقى فى المجلس من أصل ٤٤٠ رجلاً غير ٤ نساء فقط (عام - على سبيل المثال - ١٩٩٠)..

الأكثر من هذا أن نلاحظ أنه بدون «تخصيص» مقاعد للمرأة فى مجلس الشعب يكون تمثيلها ضعيفاً جداً، فإنه بينما كان عدد مقاعد المرأة عام ١٩٧٩ يصل إلى ٣٥ امرأة منتخبة تدنى عام ٢٠٠٥ ليصل إلى ٥ مقاعد لنساء منتخبات وهو يبرر الدعوة إلى تخصيص لا «انتخاب» مقاعد للمرأة أخيراً.

وبالفردي أيضاً نستطيع أن نفهم دلالة الاهتمام بالعديد من القضايا فى هذا القرن - بين ١٩٠٦ - ١٩٩٠ - التى تتراجع ولا تتقدم أبداً وتبدو فى إطار فردي: كقضايا الزواج، والطلاق، وتعدد الزوجات، وتعليم المرأة، وقضية العمل.. إلخ..

إنه الفردي - الهوية النسوانية - الذى لا يرى قضايا المجتمع فى حركة انفصال عن قضاياها الشخصية، وإنما تظل القضايا الذاتية للمرأة كخيوط تتباعد وتتقارب لتمثل - فى دخولها النسيج - القضايا الجماعية للمجتمع..

ولذلك، فإننا نقول: إن معيار تقدم المرأة يكون بمحاولة رفع درجة الوعي، وهذه المحاولة تمثل درجة من درجات التطور والتنوير.. فى عالمنا العربى التفس الذى لم يعد ليفرق كثيراً بين قهر المرأة وقهر الرجل.

وهو ما نجم عنه ظهور دعوات نسوانية كثيرة طائشة.

وهو ما يصل بنا إلى انتقاء نماذج دالة مانعة..

فى هذا الإطار تتحدد وتتعدد الشخصيات النسائية وتمثل نماذج دالة. وعلى رغم أنها ليست نماذج مائعة.. فإنه يمكن أن تمثل - بفعل التابع المحورى - نماذج أصلية Prototype تمثل أغلب النماذج المعروفة الآن فى هذا العالم. فى هذه الحقبة من التاريخ المعاصر الذى مازال - على رغم دعوات رجعية - يمثل التكوين الإيجابى للمرأة، والذى على رغم دعوات شرقية متخلفة يمثل التطور الإيجابى الذى لم يسع إليه الإنسان، وإنما سبقه الدين الحنيف فى عدة من آياته ...

إننا أمام الغربية والمناضلة والعائلة والسيطرة والزوجة والحديدية والنارية.. والمفترى عليها، إلى غير أولئك من النماذج النسوانية الواعية اللائى نجدهن فى هذا الكتاب. إن كل نموذج يشير إلى شبيهه ويستدعيه، وكل نموذج يؤكد النموذج الأصلى..

وعلى سبيل المثال، فإن المناضلة - عبله طه - تشير إلى كثيرات عندنا، كثيرات، مجهولات، نرى عشرات منهن فى الأرض المحتلة (فلسطين)، وهن معروفات لدينا، حين نذكر: ليلى خالد، الفدائية الفلسطينية التى قامت بجسارة شديدة بخطف الطائرات الإسرائيلية إبان تكوين خبرة للبحث عن أسلوب للتعامل مع العدو، ولدينا: فاطمة برناوى التى اشتركت فى عام ١٩٦٧ فى تفجير سينما تسيون الإسرائيلية وحكم عليها بالسجن مدى الحياة واعتقلت السلطات الإسرائيلية والدتها وشقيقتها وراحت تندد بمن كان يعرفها، وخارج النضال لدينا عشرات أخريات واعيات لا بد أن نذكر منهن: ليلى أحمد، وفاطمة المرنيسى.

وفى هذا الإطار نستطيع أن نذكر المفاوضة: - حنان عشراوى - التى استطاعت خارج السجن أن تلعب دورًا إيجابيًا فى حركة النضال العربى والبحث عن صور للتعامل مع الإسرائيليين عبر تراكم الخبرة والوعى فى سنوات النضال ضد الصهاينة، ومعها يمكن أن نذكر عشرات الفتيات الواعيات اللائى عرفن فى فترات المقاومة الفلسطينية فى نضالها المستمر أو - حتى - بعد أن دخل العرب الفلسطينيون فى السنوات الأخيرة فى نفق الشقاق والنفاق ...

هذه نماذج من الشرق العربى، وهناك نماذج أخرى من الشرق الآسيوى، وتمثل السيدة الواعية - بنازير بوتو - أبلغ تعبير عن هذا النموذج فى التصدى للهيمنة الغربية على بلادها، والتصدى أيضا لطغيان الحكام الموالين للغرب أو الطامحين إلى منصب ومراتب عليا حتى رحلت، أو قتلت أو اغتيلت بشكل أدق من بين أهلها فى باكستان.. ونموذج بنازير يذكرنا بنماذج أخرى من أمثال: كورازون اكينو فى الفلبين وتشاومورو فى نيكاراجو ثم الشيخة حسنية ومسز كورى وبندرانيك.. وغيرهن كثيرات..

وقبل هذا وبعده نستطيع أن نستعيد نماذج دالة شجاعة فى الشرق والغرب، فمن ينسى هدى شعراوى فى مناداتها بحقوق المرأة منذ فترة مبكرة من القرن الماضى، ولم يرتبط كفاها بالمستعمر

فقط، وإنما جاوزته إلى المستعمر الآخر - الداخلي، ومن ينسى جميلة بوحريد التي عرفت من أشكال النضال وإنجازاته حتى نالت الجزائر الشقيقة استقلالها..

وعبورا من الشرق إلى الغرب، فسوف نرى أوضح مثال للمرأة المسيطرة، - نانسي ريجان - ولا نكاد نذكر نانسي إلا ونذكر معها الكثيرات من أمثال بتى ورزوزلية ودول من زوجات المسؤولين الأمريكيين، ثم ماري - آن وكاترين ومارجوت، ثم بربرة من زوجات المسؤولين البريطانيين.. إلى غير أولئك..

ونتمهل أكثر عند اثنتين: المرأة الحديدية - تاتشر - والمرأة النارية - كريسون - من بريطانيا وفرنسا، فكل منهما كانت تتميز بصفات تتشابه لا في النوع فقط، وإنما - أيضا - في الطموح والرغبة في التحرر ونيل الحرية في داخل بلادها دون ربط هذا بالهيمنة على استقلال الغير والنيل من وعيه وقدراته..

ولسنا في حاجة لنذكر العديد من هذه النماذج؛ إذ أصبحت الآن كثيرة في العالم الذي نعيش فيه..

وتوجد نماذج أخرى كثيرة نلتقى ببعضها هنا، وتتعرف على شبيهاتها داخل الكتاب وخارجه مما يقطع بدور «النسوان» في الحياة السياسية والاجتماعية في عالمنا، وفي عديد من مناطقه. وهو ما تقترب معه أكثر إلى الصورة الايجابية للمرأة الواعية سواء في ممارستها وجودها ضد المستعمر الخارجي، أم المستوطن المزعوم أم حتى بين أبناء جنسها من الرجال والنساء - أيضا - اللاتي مازلن جميعا لا يرون غير نموذج المرأة المتخلفة والجانية من أبناء جنسها، والمتخلفة من أبناء بلادها من الرجال أيضا..

وهو ما يعود بنا إلى المعنى الإيجابي للمرأة أو لتون النسوة أو لهذه الذكورة المتخلفة والمستعمر الجاني البغيض في فلسطين والعراق و..

والنسوان عندنا وعندهم يتشابهن في الاقتراب من النموذج أو الابتعاد عنه، لكنهن يختلفن في درجة الاهتمام وطبيعته، فالمرأة عندنا تعاني من الهم اليومي المغاير لثقله عندهم.. والمرأة عندنا يجب أن تهتم بدرجة عالية من رفع الوعي في حين أن المرأة هناك تعيش في سياق حضارى مغاير لثقله هنا..

إن الهم اليومي لا يولى عندنا للجمال أو الأنوثة درجة أقل مما تستحق. ولكنه يفرق بين الجمال الذى لا يكتثر بغير الأحداث اليومية التافهة، وبين الجمال الذى يسعى للتغيير؛ فلانظن أن الجمال الآن يمثل القطب الرئيسى فى دائرة اهتمامات المرأة.. وإنما ذكاؤها الوهاج حين نطالع الصحف على أسماء نساء واعيات فى المجالس الشعبية أو نساء واعيات فى بعض المراكز الدينية.. وهو ما لا بد أن نشير معه إلى كثير من حقائق الطبيعة والتكوين الإنسانى الذى لا يمكن أن تخلو منه أية امرأة تعيش فى أى مكان فى هذا العالم ..

فالجمال وحده لا يكفي لتصف امرأة، وإنما وراء الجمال وأمامه درجة الوعي القصى فى أية ممارسة جدية فى هذا العالم؛ فلا يمكن أن يكون الجمال وحده العامل المؤثر فى وجود المرأة ودرجة اهتماماتها.. لقد اكتشف عالم الآثار الأمريكى روبرت بيانكى - على سبيل المثال - أن كليوباترا لم تكن جميلة وإنما كانت شخصية جذابة، وهى كامرأة لم تكن تدير رأس أحد «إن لها قوة وذكاء أى حاكم رجل.. وليس لها من صفات المرأة ولا قدرتها على الإغراء. ولم يكن لها أى نصيب من جمال الجسد»..

ومع ذلك، وعلى رغم ذلك.. فإن كليوباترا تركت على وجه التاريخ آثارًا غائرة لم تتركها الكثيرات من الجميلات المسطحات ..

وهو ما تفرضه علينا حين تهل علينا بذكائها الملحوظ وليس فقط بجمالها. نذكر هذا لأن الكثير من «كليشييات» الأنوثة التى يسعى العالم الغربى الرأسمالى الآن لتكريسها بعيدا عنه لا تتناسب قط مع عالمنا العربى..

إن النساء هناك بدأن أخيراً فى فهم سر اللعبة، وبدأن يتمردن على هذا الواقع غاضبات صائحات أن.. «الرجال يريدوننا أن نرتدى التنورة القصيرة.. والملابس الداخلية المغربية والمزينة بالدانتيل»...

نذكر هذا لأن عديداً من نساتنا الجميلات يتجهن إلى الغرب؛ حيث الجراحة التجميلية (السيلكيون) تستحوذ على كل اهتمامهن، وحيث التخصص فى جراحة الجمال عند النساء حيث وصلت فى مدينة مثل كاليفورنيا إلى أن يعمل فيها قرابة ٢٠٠,٠٠٠ جراح تجميل فى نهاية القرن العشرين وإلى استيراد - كما نلاحظ - آلاف الأدوات التى ترفع درجة الجمال الأهوج المتخلف ...

نذكر هذا لأن عديداً من نساتنا - على رغم ذلك - لا يكدن أن يعشن على الكفاف، ولا يسمعن عن هذا المجتمع الاستهلاكى ونساته قط، اللهم إلا من خلال أجهزة الإعلام.

نذكر هذا لأن الردة على المرأة العربية تحاول أن تدمر بعض ما كسبته على مدى التاريخ الحديث.؛ فعلى رغم أن هدى شعراوى بدأت معركتها الكبرى برفع اليشامك والأنقبة، فإن اليشمك والنقاب الآن عاد أكثر من هذا العصر فى بداية هذا القرن خلال جماعات غير واعية، وجماعات حزبية تبحث عن مكاسب سياسية، ورجال متخلفين لا يرون تأكيد صورة (سى السيد) إلا بوجود (الست) كشىء فى البيت.

وقبل هذا واستجابة لهذا النزوع المتخلف لدى العديد للرجال..

إن مكاسب المرأة التى حصلت عليها فى حقبة بعيدة تشهد تراجعاً حاداً فى كل مجال: تعليم المرأة يتراجع، الدعوة لعودة المرأة تكسب أنصاراً كل يوم، ضالة وجود المرأة فى الحقل السياسى يستمر..

الأكثر من هذا إيلاما أن نشهد الآن الكثير من الجمعيات الأهلية أو المسماة بهذا الاسم الذي يجد له الآن الكثير من الأنصار والجماعات المتخلفة التي تبحث عن المرأة وراء الحجاب فقط، وهو الحجاب الذي لا ننكره مادامت المرأة واعية بما يحدث حولها، لا تنزوي وراء الحجاب والنقاب في وقت العدو مازال يتربص بنا، والعدو من الداخل من بنى جنسها مازال خاضعا لأفكار غربية تقترب من دعوات المستعمر وحسب.. إلى غير ذلك مما يعكس واقعًا يزرى بالمجتمع قبل أن يستعيد المرأة إلى البيت ويستعيد الملكات الطبيعية فيها.

وهو ما يطرح علينا أسئلة كثيرة، خاصة مع دخولنا عصر «الفضاء التخليئي» والفضائيات الحرة والإعلام المتخلف لأدواته الحضارية والمقيدة وبتحديات الصهيونية والإمبريالية مع وصولنا لفترة حرجة تحتاج إلى وعى عربي يحمل رموزًا عقديّة بناءة لا تفرق بين رجل وامرأة.. وهو ما زاد أهمية خاصة في مواجهة الخطر الغربي العدواني المتصاعد في رموزه في الداخل والخارج على السواء.

ولهذا ولغيره، نرى أن (النسوان) الآن في حاجة إلى استعادة الوعي لا تغطية العيون والوجه والعقل أيضا، والدوران في الساقية التي يجب أن تستمر كما يريد صاحبها بأية صورة.. وفي حاجة إلى لعب دورها بجانب الرجل وليس ضده..

وفى حاجة إلى فهم أن المجتمع المتخلف يفرز امرأة متخلفة، وأن المرأة غير الواعية تتركس لهذا المجتمع المتخلف وتعمل له..

نحن في حاجة إلى أن ندرك أن دور المرأة في عالمنا لا يقل عن دور الرجل، فترف التسليية لا نملكه، نحن الرجال والنساء التعماء في هذا العالم الظالم، ولا يجب أن يملكنا.. بقى أن نذكر أن هذه النماذج هنا في العصر الحديث نشرت في أغلبها في الحقبة الأخيرة، عدا اثنتين، كتبنا ولم تنتسرا إلا مع نشر هذا الكتاب في بدايات القرن الحادى والعشرين، ربا وسكينة، وكليوباترا..

إن نموذج المرأة الفرنسية - سوزان - مازالت تلعب عندنا - فى الشرق التعس- هذا الدور التبشيري المضاد لنا؛ وهذا الدور المثال من النسوان يلعب دوره المزوج، وما زال، مع الرجل، ومع الاستعمار. كما أن نموذج المرأة المصرية - كليوباترا - ما نشرت بالفعل على رغم أنها كتبت فى فترة ما بين القرنين؛ ولهذا آثرنا أن تكون بين هذه النماذج الإيجابية للمرأة الشرقية اليوم. بقيت ملاحظة بدهية هنا، هى أننا حاولنا أن نعيد النماذج المتخلفة إلى الأذهان، ولكننا لم نتوقف عن التذكير بهذه النماذج الإيجابية فى هذا العصر..

ولهذا، وغيره، آثرنا أن نعيد نشر هذه الأمثلة أو النماذج الإيجابية وحسب.. وهذه النماذج تؤكد وجود هذه النماذج السلبية، وهى تؤكد كذلك الإشارة إلى دور النماذج الإيجابية فى عالمنا..

بقى أن أقول: إن هذه النماذج كتبت في السنوات الأخيرة على مراحل متفرقة، وكان يتابعها صاحبها من آن إلى آخر، وهو ما يمكن أن يقال معه: إنه من السهل أن نعثر فيها على العديد من الخيوط الإيجابية في النسيج الفكرى للكاتب، ورصد العديد من العناصر الإيجابية «في الخطاب» الفكرى العام..
فأرجو أن أكون وفقت ..
ولله الأمر من قبل ومن بعد ..

مصطفى عبد الغنى

□□□